

( ٣ )

## الإيمان والعلم

- الإيمان ، بين الوعي والتخدير
- العلم ، بين الأصالة والادعاء
- « لا أدري » و « الله أعلم »

obeikandi.com

# الإيمان بين الوَعْيِ وَالتَّخْذِيرِ

« فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَا مَا  
يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ،  
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ »

( سورة الرعد )

obeikandi.com

الرائد لا يكذب أهله ،  
بالإيمان والعلم نواجه هذه الجولة الحاسمة لمعركتنا مع أعداء البشر ،  
وطاغوت هذا الزمان .  
وبالإيمان والعلم ، نواجه كذلك تحديات عصرنا ، ونناضل في صراع  
الوجود ومعترك المذاهب والقيم ..  
ولن يصح لنا لإيمان ولا علم ، ما لم نتدبر منطقتها ونتمثل آفاقها ،  
ونستبين على الحقيقة مناط قوتنا بهما وجلواهما علينا .  
لكيلا تختل المقاييس والموازن ،  
وتضطرب الرؤية ، ويضيع منا الطريق .

•••

الإيمان عقيدة وتقوى ، ويقظة ووعي وسلوك .  
وليس استهواء خلافاً يحدّر عقول العامة وضمانر الجماهير ، بألفاظ  
ضخمة فقدت دلالتها ومعناها وفعاليتها ، أو عبارات فخمة يلوكها مدعو  
عصرية ، من باعة الكلمة وتجار القلم .  
والإيمان سعي وعمل ، وليس جذبة شطحات هائمة في تيه  
المراب ، تسقط الأمة في خيبوبة عن الوعي ، وتعطل إدراكها لسنن الكون  
والحياة ، وتريحها من مكابدة هموم يفظتها وتكاليف وجودها ومسئولية أمانتها .  
وتبعات مصيرها ..

وتسلط على إدراكها بمثل هذه المخدرات التي راجت فينا باسم التفسير  
العصري للقرآن :

( أنا وأنت وهو وهم ونحن ، كلنا مجرد صور تبرد وتختفي على  
شاشة الوجود كما تتجمع الصور على شاشة التليفزيون ثم تتبدد وتزول عند  
انقطاع التيار ، ثم تعود فتتجمع صور أخرى عند وصل الكهرباء ، ثم  
تعود فتزول هي الأخرى )

( أفقٌ إلى نفسك فأنت غير موجود ! أنت ظل ، شأنك شأن  
الظل . موجودٌ على الأرض ما دامت الشمس في كبد السماء ، فإذا  
غربت لم يعدْ لك وجود ، واختفت معك كل الظلال التي كانت  
تتطاول بأعناقها إلى جوارك )

( وكلمة التقوى هي النذير بأن كل شيء إلى فناء ، وبأن كل هذا  
العالم ديكور من ورق اللعب ومدينة مزيفة مصيرها أن تُفكَّ وتُعاد إلى  
علبتها ) !

• • •

والله في العقيدة الإسلامية له المثل الأعلى :  
هو الحق المطلق والخير المحض والكمال الأسمى .  
وهو النور والهدى ، والعدل والسلام .  
وهو العزة والجلال .  
• فالإيمان به تعالى ، إيمان بما نعتقد أنه الحق والخير والعدل والعزة .  
ويُلزِمنا هذا الإيمان فريضة الجهاد في سبيل «المثل الأعلى» وتكاليف  
دفع الشر والقبح ، ومقاومة الفساد .

وليس الإيمان بمن له المثل الأعلى ، أن فلوك كلمات طنانة رنانة ، لم يسمع بها قط رسول الله الذي أبلغنا رسالته ، وتلا فينا كلماته تعالى « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »

فيقول قائل من مدعى العصرية والعلم ، إن الله ( هو المعمارى العظيم ، وسائق القطار الذي تفوق مهارته مهارة جميع السائقين ) ويغلب ألباب الناس بمثل كلامه في : ( فورم المعمار القرآني ، وذذبذة حروفه الموسيقية ، والسيمفونية السباعية لسورة الفاتحة ... ) وقد قالت الوثنية القرشية إن هذا القرآن شعر ، وأنكر القرآن أن يكون شعرا ..

ولا تجوز عليه سبحانه صفات أو خبرات كسبية ، كالموسيقى والمعمار والهندسة ، ومهارة سائق القطار .

وماذا يجدي على إيمان شباب الأمة ، إذا ذكروا بسورة الفاتحة سيمفونيات بيتهوفن وباخ وموزار ، أو ذكروا بكلمات القرآن « صوت الموسيقى » أو وضعوا الخالق جل جلاله ، في المقام الأعلى فوق مهندسي السد العالي وسد اليرموك ، وقواعد اقتحام الفضاء ، وسائقي قطار « اكسبريس الشرق » ومركبات ملاحه الفضاء ؟

« ومن الناس من يشتري ههوَ الحديث ليُضِلَّ عن سبيل الله بغير علمٍ ويتخذها هُزُواً ، أولئك لهم عذاب مهين » -

( لقمان : ٦ )

• • •

• والله في العقيدة الإسلامية هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد :  
لا نعبد إلا إياه ، ولا نشرك به شيئاً .

والإيمان بوحداية الله المعبود ، يحرم الإنسان من مهانة العبودية لغير الخالق ، ويرفع عنه إصرها والأغلال .

سواء أكانت هذه العبودية لبشر مثلنا ، ولو كان نبياً رسولا :

« ما كان لبشر أن يُؤتِيَه اللهُ الكتابَ والحكمَ والنبوةَ

ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله »

( آل عمران : ٨٩ ، الأعراف : ١٩٤ )

أم كانت العبودية لشيء من الأشياء ،

لثلاث نقرط في عزة التوحيد تحت ضغط أي قهر ومحنة ابتلاء ، ولا يعشي وهج الوثن الأصفر بصائرنا وأبصارنا فنذل ونخزي ، ونشترى بشرف الإنسان عرضاً من الأعراض المادية الزائلة .

ولكيلا تنورط في عبادة الهوى والشهوات :

« أفرأيتَ مَنْ اتَّخَذَ لَهُمَ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ

عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ

بَعْدَ اللهِ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ »

( الجاثية : ٢٣ )

• • •

• والله في العقيدة الإسلامية هو العدل الحق ، وهو الأول والآخر ،

لا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو على كل شيء رقيب حسيب ، وله آخرتنا والأولى .

« عالم الغيب لا يعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في السمواتِ

ولا في الأرضِ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتابِ  
مبين ،

(سبا : ٢)

والإيمان به إيمان بمعاقبة أعمالنا وجزاء كسبنا وسعانا وحمية  
الثواب والعقاب ...

وتختل الحياة إذا ارتاب الإنسان في أن من يزرع يحصد ما زرع :  
ثمراً طيباً أو شوكاً وحنظلاً . وأن كل عملٍ من خير أو شر ، يلقى  
جزاءه حقاً وعدلاً ، « فمن يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يره . ومن يعمل  
مثقالَ ذرةٍ شراً يره » .

(الزلزلة : ٧ : ٨)

« فأما الزبدُ فيذهب جفاءً وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ  
في الأرضِ ، كذلك يضربُ اللهُ الأمثالَ » (الزبد : ١٧)  
وكل كلمة يقولها الإنسان ، طيبة أو خبيثة ، يختمل مسئوليتها  
وجزاءها حقاً وعدلاً :

« ألم تر كيف ضرب اللهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ  
طيبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حينٍ بإذنِ  
ربِّها ، ويضربُ اللهُ الأمثالَ للناسِ لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة  
خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتثت من فوق الأرضِ ما لها من قرارٍ »  
(إبراهيم : ٢٤ : ٢٦)

« إليه يصعدُ الكلمُ الطيبُ والعملُ الطيبُ يرفعه »

(فاطر : ١٠)

وفي (الموطأ) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« بينما رجل يمشي بطريقٍ إذ وجد عُصْنًا شوكٍ على الطريق فأخبره ، فشكر الله له وغمَّر له »

وقال عليه الصلاة والسلام :

« إن الرجلَ ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه . وإن الرجلَ ليتكلم بالكلمة من سخطِ الله ما كان يظنُّ أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » .

• وليس من الإيمان أن تكفر بجمية الجزاء العدل ، وسنة الابتلاء والحساب ، لنصدق ما يقول مفسر عصري من بدع التأويل لحساب الآخرة ثواباً وعقاباً :

( جنة الآخرة هي درجة ومقام ، فيها كل ما نعرف على الأرض ولكن مع تفاوتٍ هائل في الرتبة ، مثل التفاوت بين الزمن والأبد ومثل التفاوت بين طعم قطعة سكر وطعم اللذة الجنسية الحادة بالنسبة لبالغ )

والنذير للضالين بعذاب الآخرة : ( مثل تخويقك لأنك حينما تحذره من إهمال نظافة أسنانه وتقول له : إذا لم تنظف أسنانك بالفرشاة فإن الفيران سوف تأكل أسنانك .. وبالطبع لن تأكل الفئران أسنانه )

• وما يمثل هذه السذاجة الغرَّة والطفولة الصببانية ، تتلقى الإنسانية ختام رسالات الدين ، وقد بلغت رشدًا وحملت أمانة الإنسان !

ولا هكذا يبطل الجزاء فليس النذير بعقاب الآخرة سوى تخويق لطفولتنا ، ولن يكون عقاب ، كما لن تأكل الفئران بالطبع أسنان طفلك !

• • •

والسنن الإلهية في العقيدة الإسلامية ، ثابتة مطردة :

« فلن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا »

( فاطر : ٤٣ )

وهذه السنن الثابتة ، هي التي يسير عليها النظام الكوني وتمضي عليها حياة الإنسان والجماعات والأمم ، وتتقرر بها مصائرهم .

ولا تتعلق مشيئة الله العليا بنقض سننه الثابتة وتعطيلها ،  
ستظل الأجرام تسبح في أفلاكها العليا على نسقها المطرد وحسابها  
الدقيق ، بعد أن اقتحمنا إليها مجاهل الفضاء .

وستظل الشمس والقمر على نظامهما الأبدي ، بعد أن سخرنا  
الشمس ووصلنا إلى القمر ،

وسيظل قانون السببية على فاعليته وحتميته ، لا تعطله المشيئة العليا ،  
وهو من سننها الثابتة :

من لم يتق النار وجرائم المرض ، يتعرض حتماً للحريق والداء ،  
ومن لم يتجنب العقرب ، سرى سُمُّها في كيانه ...

ومن ألقى بنفسه في مهلكة ، فتعرض للقنبلة الذرية أو قنابل النابالم ،  
هلك أو تشوه !

ومن ألقى بنفسه في اليم ، دون أن يعرف السباحة ، أو يجد مَنْ  
ينقذه من الغرق ، طوته الأمواج وابتلعه اليم ..

ومن انتظر زرعاً بغير بذر وإنبات ، تعلق بالسراب .

ومن التمس عبيراً من وردة حجب عنها الضوء والهواء ومنعها الري  
والغذاء وعرضها للحشرات والآفات ، فلن يجد سوى هشيم تذروه الرياح  
بدداً !

والتوكل على الله إيمان بثبات هذه السنن الكونية وحتمية اطلاقها ،  
يمنحنا اليقين بنجاح العمل الصالح ، ويؤنسنا بأن الله معنا في كل مسمى  
نذكره فيه .

وذكرُ الله ليس تعبئة للأمة في حلقات الذكر ، ولكنه خضوع  
الإنسان لرقابة خالقه ذي الجلال والإكرام ، وإيمانه بأن الله لا تخفى  
عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، ينصر من ينصر الحق، ويخذل  
من يسعى لباطل ، ويمحق الزيف، والبهتان .

• وليس من ذكر الله تعطيلُ الأسباب ، والتواكلُ الذي يجحد السنن  
الكونية ، ويزين للناس أن يناموا بمثل هذا المخدر الذي نفته فيهم  
مفسر عصري للقرآن :

( فإذا توكلنا على الله تعالى ، فلن نخاف الحرب ولا القنبلة ولا  
المرض ، لأننا أدركنا وحدة الفاعل ، وأنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله .  
الميكروب لا يضر ولكن الله هو الضار النافع . وهو الذي يسلط  
الأسباب . هو الذي خلق العقرب والسم والوردة ، وهو الذي ينشر  
العيب وينشر السم في العروق . هو مناط الهلاك ومناط النجاة ، لا راد  
لقضائه ولا معقب لأمره . هو الفاعل ونحن أدواته ... )

ويعتضى هذا الإيمان العصري ، تكون تعبئتنا لحرب العدو تشاغلًا  
عقياً ، وتكون نخطط الدفاع المدني للوقاية من خطر القنابل ، عبثاً  
وضلالاً ، كما تكون مقاومتنا لدودة القطن وللآفات والسموم والأوبئة ، زيفاً  
باطلاً ...

يكفي لسلامتنا وصحة إيماننا ، أن نتوكل على الله ونكف عن  
التعبئة لها ، ونغلق المصانع الحربية وكليات الطب والصيدلة ومعامل الأدوية

ومراكز البحوث العلمية ، لا نخاف الحرب ولا القنبلة ولا المرض والسّم !  
الله وحده هو الفاعل ، فلماذا لا ندع له سبحانه أن يبطل فعل القنابل  
وأسلحة الحرب ، ويدفع عنا غوائل الأوبئة دون وقاية منا أو تطعيم !  
• ويسوغ في منطق عصرنا الذي فجر الذرة ، وقاس الأبعاد  
والمسافات بما دون المليمتر ، وأطلق رواد الفضاء والقمر ، وهو يحسب  
ألف حساب لكل ذرة هواء ونيضة قلب وحركة جهاز ، ويقدر الوقت  
فيما لا يتعدى جزءاً من ثانية ...

يسوغ في منطق عصرنا هذا ، ما ساغ في منطق الجاهليين من  
الوثنيين المشركين وعبدة المال من يهود :

« سيقولُ الذين أشركوا لو شاء اللهُ ما أشركنا ولا آباؤنا  
ولا حرّمنا من شيء » كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى  
ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن  
تتبعون إلا الظنّ وإن أنتم إلا تخرصون »

( الأنعام : ١٤٨ )

« وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من  
علم ، إن هم إلا يخرصون »

( الزخرف : ٢٠ )

« وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم اللهُ قال الذين كفروا  
أنطعم من لو يشاء اللهُ أطعمه إن أنتم إلا في ضلالٍ  
مبين »

( يس : ٤٧ )

واللهُ تعالى يقول في ختام رسالاته :

« وقل اعملوا فسيرى اللهُ عملكم ورسولهُ والمؤمنون » .

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يُجزأه الجزء الأوفى »

(النجم : ٤٠ : ٤٢)

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كُبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . إن الله يُحبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بُنيانٌ مرصوصون »

(الصف : ٢ : ٤)

ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، خطب في الناس فقال فيما قال :

« لا يتعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقني ، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .. »

• • •

والإيمان في العقيدة الإسلامية ، التزام أوامره تعالى واجتناب لنواهيه . والله يأمر بالتوحيد والعدل والإحسان والتقوى والعفة والأمانة والصدق ، والتواصي بالحق والخير ، والتناهي عن الشر والمنكر ، والصبر على تكاليف الجهاد ...

وينهى سبحانه عن الشرك والبغي والفحشاء ، وأن نسكت على باطل ومنكر ، وأن نفتري على الله كذباً ونحرف كلماته تعالى عن مواضعها ..

وقد وضع الحدود والقصاص لتقويم الخاطئين وهداية المنحرفين الضالين ، وإصلاح المجتمع ووقاية الأمة من شر المفسدين والمجرمين وتأميناً للحياة :

« ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب »  
« أنه مَنْ قتل نفساً بغيرِ نفسٍ أو فسادٍ في الأرضِ فكأنما قتلَ  
الناسَ جميعاً ، ومَنْ أحيّاها فكأنما أحيّا الناسَ جميعاً ... »  
(المائدة : ٣٢)

وهو وحده ، جل جلاله ، الذي يقبل التوبة من عباده ويعفو  
عن السيئات .

• وليس من الإيمان أن نعطل حدود الله ونأخذ بفتوى عصري  
يقول ، مثلاً :

( فمن يسرق ويقول -- ؟ -- صادقاً : تَبْتُ ولن أسرق بعد الآن ،  
يُعطي لولي الأمر مجالاً لرفع الحدِّ عنه . ومن سرق للجوع أو للحاجة ،  
لا يصح شرعاً إقامة الحد عليه )

ونحن صكّ ثواب وحسنه ، بمقتضى تأويله لآية الغض من البصر :  
( لو أخذنا الآية بظاهر حروفها ... فسوف نجد أن الحياة الطبيعية  
في زمننا ، زمن الميني جيب والديكولتيه والجاپونيز والصدر العريان والشعر  
المرسل والباروكات الذهب ، أمر صعب . والسير في شارع عماد الدين  
أو فؤاد وسليمان باشا ، سيراً مطابقاً لحروف الآية ، هو الأمر العسير ..  
( ونحن قد نرى وجهاً فنهتف بالقلب إعجاباً : الله ! ونقصد الخالق  
الذي صورّ ، وليس المخلوق . فلا تكون هذه النظرة حلالاً فقط ، وإنما  
تكتب لنا حسنة ) !!

فمن قال إن تبرج الجاهلية الأولى مباح ؟ إن السير المطابق للشريعة ،  
ليس فيه أن تخرج المرأة على الناس في زيبتها بالميني جيب والديكولتيه  
والصدر العريان والباروكه الذهب !

والأمر بغض البصر سداً لذرائع الفتنة ، لم يكن للمؤمنين دون المؤمنات : « وقل للمؤمنات يفضضن من أبصارهن » فهل تكتب للواحدة منهن حسنة بنظرتها إلى رجل من شارع سليمان أو سليم أو سلوم ، وإذا هتفت بالقلب إعجاباً : الله : الذي صور وأبدع ؟

نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم يقول :

« لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء »

(الموطأ)

« إن الحياء من الإيمان »

(الموطأ والصحيحان)

وجاءه رجل فقال :

— يا رسول الله ، أستأذن على أمي ؟

فقال : نعم .

قال الرجل : إني معها في البيت ؟

وقال عليه الصلاة والسلام : استأذن عليها .

قال الرجل : إني خادمها .

فقال له المصطفى : « استأذن عليها ، أتُحِبُّ أن تراها عريانة ؟ »

(الموطأ)

ويأتي في آخر الزمان ، من يفتي بأن عري النساء في شوارع القاهرة ،

وسيلة إلى الله وقربى ، فالنظرة إليهن والهتاف بالقلب إعجاباً : الله !

ليست حللاً فقط ، ولكن تكتب بها حسنة ...

تأويلاً لآية الأمر بغض البصر !

فليتمس الشباب « حسنة » من معارض الفتنة وأسواق العري

والتبذل !

ولتلتمسها النساء كذلك فهن والرجال في الأمر بغض البصر ، سواء !!

• • •

والإيمان في العقيدة الإسلامية . جهاد في سبيل الله .

ومجمل القول فيه ، ما جاء في ( صحيح البخاري ) :

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : .

– الرجل يقاتل للمغرم ، والرجل يقاتل للذكور ، والرجل يقاتل

ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

« من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا : فهو في سبيل الله »

وكلمة الله هي كلمة الحق والخير والعدل والعزة والصدق والأمانة

« وَيَمْنَعُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ » .

« فلا تضربوا لله الأمثال »

« للذين لا يؤمنون بالآخرة مثلُ السوءِ وللهِ المثلُ الأعلى : وهو

العزیز الحكيم »

صدق الله العظيم

obeikandi.com

# مَنْطِقُ الْعِلْمِ بَيْنَ الْأَصْحَالَةِ وَالْإِدْعَاءِ

« إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »

( سورة فاطر )

obeikandi.com

ليس الذي يعوزنا من العلم لمعركة البقاء والمصير ، ومواجهة تحديات عصر ما بعد القمر ، أن نجلب كل ما في الدنيا من أجهزة وكتب علمية ، وأن نستورد بوسيلة أو بأخرى أحدث الأسلحة وعصريات التكنولوجيا ، وندخل في السباق العلمي مع الاتحاد السوفييتي وأمريكا وألمانيا واليابان والصين ...

في وطننا الكبير أقطار يتيح لها ثراؤها أن تستورد ذلك كله ، وتقتني أعجب ما يخطر على البال من أجهزة العصر ، وتظل مع ذلك وراء عصر العلم ....

إنما يعوزنا حقاً ، عقلية" يضبطها منطق علمي ، بعد أن تعرضت الجماهير في المرحلة التي ساقته إلى الهزيمة ، لذرائع تشويه عقلي فادح ، باسم الإيمان والعلم .. حتى أوشكت هذه الذرائع ، بما دُقَّ لها من طبول الإعلان وأجراس الدعاية ، أن تحجب عن الناس نور الإيمان الحق ، وأن تنحني عن مراكز التوجيه العقلي للجماهير ، ذوي الأصالة العلماء .

• • •

في دور الحضانة والمدرسة الابتدائية ، تتساهل وزارات التعليم ، تحت ضغط الضرورة ، فتعهد بصغار التلاميذ إلى « معلم فصل » يعلمهم فكّ الخط ، ويلقنهم معارف بسيطة أولية ، من الحساب ومبادئ العلوم والدين ..

وأرانا نستقبل مرحلة الإيمان والعلم ، بمن يتصورون أن الأمة لا تزال في طور الحضارة والطفولة ، فينتحل إمامة الدين والعلم ، كاتبٌ صحفي يؤول لها كتاب دينها بغير علم . ويقدم إليها كل علوم العصر ، مع أسرار الجن والملائكة ، والعلم اليقيني بغيب الآخرة !

• • •

لم يكن خاتم النبيين عايه الصلاة والسلام ، من علماء البيولوجيا والحيولوجيا والتكنولوجيا . . . . .

مبلغ علمه ، نبياً رسولاً ، هو ما تلقاه من كلمات ربه ، وأبلغه للناس في كتاب الإسلام المحكم الموثق ، وفيما تعلم الصحابة في مدرسة النبوة ، من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ،

والقرآن كتاب هدى ودين ، وعقيدة وشريعة ، وقديمٌ عليا تظل الإنسانية مستشرفة لها دائبة السعي إليها ،

وهو تكاليف مجاهدة وجهاد ، في سبيل المثل الأعلى .

وهو نور القلوب والبصائر ، والأبصار والأسماع .

والقلب في كل آياته بالقرآن ، ليس العضو العضلي الذي يدرسه طلاب التشريح ويعرفه علماء الحيوان ، لا في الإنسان فحسب ، ولكن في الطيور والماشية والأنعام . . . . .

القلب في القرآن ، موضع الفقه والوعي والعقل والهدى ، وموطن العقيدة والإيمان والتقوى ، أو الكفر والعمى والإثم والنفاق والقسوة .

يطرد ذلك في كل مواضع استعمال القرآن لكلمة قلب ، مفرداً ومثنى وجمعاً ، ليس فيها على الإطلاق قلب بدلالته العضوية العضلية الذي لا ينفرد به الإنسان ، بل منه ما يباع في حوانيت اللحوم ، ويؤكل بعد طهيهِ ، في المطاعم والمنازل . . . . .

والسمع والبصر والنطق ، في كتاب الإسلام : لا تأتي كذلك بدلالاتها  
الفسولوجية ، ولكنها أجهزة إنسانية ، للإدراك والتمييز والوعي والبيان ..  
ومرض القلوب في القرآن ليس مما يكشفه أطباء القلب وأجهزة الضغط ،  
والأشعة والرسم ، ولا هو مما يلتمس علاجه بدواء يخرج من معامل  
باير وساندوز ولانت ... أو يستشار فيه جراح مثل الدكتور برنارد .

ولنما المرض فيه فساد وعمى ونفاق وخبث وخيانة :  
« ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه »  
( البقرة : ٢٨٣ )

« يا نساء النبي إن اتقين إن اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي  
في قلبه مرض .. »

( الأحزاب : ٣٢ )

« فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في  
الصدور »

( الحج : ٤٦ )

« وإذا ذكّر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون  
بالآخرة » .

( الزمر : ٤٥ )

« فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة .. »  
( آل عمران : ٧ )

« إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم »  
( الأنفال : ٤٩ )

« وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا  
مثلاً .. »

( المدثر : ٣١ )

• • •

وكذلك الصمم والبكم والعمى ، لا يُراد بها في القرآن تعطلُ وظيفتها العضوية الحسية ، وإنما المراد تعطل وظيفتها الإنسانية ، بالغفلة والجهل والسكوت على باطل ومنكر :

« أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ »

( الروم : ٥٢ )

« إِنْ شَرَّ الدَّوَابُّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمَّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ »

( الأنفال : ٢٢ )

« لَمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَمْ أُعْيِنُوا لَّا يَبْصُرُونَ بِهَا وَلَمْ أُذَانَ »

« لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ »

( الأعراف : ١٧٩ )

ولم تأت الأمعاء في القرآن ، إلا في النذير لأصحاب النار : « وَسُقُوتُ

مَاءٍ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ »

كما لم تأت الحناجر إلا بدلالة بيانية مجازية ، تصرفها عن أصل

استعمالها العضوي ، فلا علاقة لها بتشريح ولا طب أو جراحة :

آية الأحزاب ١٠ في شدة الحرب :

« وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ »

وآية خافر ١٨ في النذير بيوم الآزفة :

« إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاسْطِمِينَ . »

أما المخ والرئة والغُدُد والشرايين والأعصاب ، والأضلاع والمفاصل ...

فليست من معجم ألفاظ القرآن ، على الإطلاق ..

• وينفي القرآن الموتَ عمّن قُتِلُوا في سبيل الله :

« ولا تقولوا لمن يُقتلُ في سبيلِ الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون »

( البقرة : ١٥٤ )

« ولا تحسبن الذين قُتِلوا في سبيلِ الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون »

( آل عمران : ١٦٩ )

• ويثبت الموت لمن تعطل وعيُه وضل عن الهدى :

« إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمَّ الدعاء »

( النمل : ٨٠ )

« إن اللهَ يُسمع من يشاء وما أنت بمسمعٍ من في القبور »

( فاطر : ٢٢ )

• • •

• والأعداد في القرآن لا تأتي بدلالاتها الرقمية الحسابية ، إلا في آيات التشريع والأحكام والأخبار ،

وتأتي في سائر الآيات بدلالة بيانية مجازية ، لاصلة لها بأعداد الحساب :

« استغفرُ لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم »

( التوبة : ٨٠ )

« ليلةُ القدر خير من ألف شهر »

ولو أن ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمده من بعده سبعةً أبحرٍ ما نفدتُ كلماتِ ربي »

( لقمان : ٢٧ )

• وآيات الفلّك في القرآن تلفت الناس إلى شواهد القدرة الإلهية  
وعجيب سننها الثابتة في النظام الكوني المحكم ،

وليست من مثل ما يشغل علماء المراصد وقواعد إطلاق ساليوت  
ولوناخود وأبولو وسيوز ومارينر...

• وتوشك الآيات القرآنية في خلق الإنسان ، أن تكون موجهة إلى  
الاستدلال بهذه النشأة الأولى ، على إمكان النشأة الأخرى ، على ما مضى  
بيانه في مبحث « جدل في البعث » بالكتاب الأول .

• • •

فإذا عسانا أن نصنع ، لترسخ الإيمان في ضمائر الشباب وعقولهم ،  
من يدرسون علوم العصر ويدخلون المشرحة والمعمل والمصنع ، ويتابعون  
جهود علماء الفضاء ورحلات القمر !

هل نأتيهم بقرآن غير هذا الذي نزل على نبي أمي في بيته بدوية ؟  
أو نضحك على عقولهم بيدع من التأويلات تقدم لهم من القرآن  
كل علوم الدنيا وعصريات التكنولوجيا !؟

أبناء الحليل ليسوا من البلاهة والغفلة والسذاجة ، بحيث يجوز عليهم  
أن يقول لهم قائل إننا عرفنا الطائرات النفاثة ، إذ عدنا برب الفلق من  
« شر النفاثات في العقد » واهتدينا إلى أسرار الذرة بـ « مقال ذرة » !

بل هم الذين يضحكون لسذاجة ما يقرأون في تأويل عصري لآية  
القمر في سورة يس ، ( أن العرجون القديم تشبيه حرفي للقمر الذي  
لاخضرة فيه ولا ماء ) وأن الخبر عن سد ذي القرنين في آية الكهف .

( لم يكن إلا سدّ الجهل ، عزل الصين عن العالم ، حتى إذا جاء اليوم الموعود وأخذوا بأسباب الصناعة وصنعوا الحديد والصلب والقنبلة الهيدروجينية وتكاثروا إلى آلاف الملايين هدموا السد ) فتقوم الساعة ! !  
وأن هبوط آدم من الجنة ، في القرآن ، يقدم لهم ما فات دارون في أصل الأنواع :

( هبط آدم إلى هاوية التيه المادي ، إلى طين المستنقعات . هذه المرة إلى مجرد جرثومة في طين الأرض إلى نقطة بدء أولى ، من الصفرة وكان على آدم أن يخرج من هذا التيه المادي في انبثاق متدرج عبر مراحل وأطوار بدأت بالخلية الأولى والأميبا صعوداً إلى الاسفنج والرخويات والقشريات ... الخ ، وأثاب الله آدم على توبته بأن هداه في رحلته الدامية وأخذ بيده خارجاً من رحم الأرض ومن طين المستنقعات حتى وقف منتصباً على قدميه محاكياً آدم الأول )

• كلا ، لم يبلغ شباب الخليل من البلاء والغفلة أن يأخذوا هذه التأويلات وأمثالها معها ، مأخذ الحد ،

ولكن الخطر على إيمانهم ، أن تعرضهم لفتنة مجافاة الفهم النبوي للقرآن ، للعقلية العلمية ومنطق العصرية ، فتأخذهم الفتنة بمنطق الجاهلية :

« وإذا تُتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله ، قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من

قبله ، أفلا تعقلون . فمن أظلمُ ممَّن افترى على الله كذباً أو  
كذبَ بآياته ، إنه لا يفلح المجرمون «

(يونس : ١٥ : ١٧)

• وخطرٌ على عقلية الجماهير ، أن نخايلها بهذه الألفاظ المضخمة  
من بدع التأويلات العصرية العلمية ، تمسخ عقليتهم ويختل بها منطقتهم ،  
وتخدر وعيهم بغرور السبق إلى علوم العصر ، فلا علينا أن تتجول  
« لونا خود » على سطح القمر ، ولدينا آية الانشقاق :

« فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق .  
لتركبن طبقاً عن طبق ، فما لهم لا يؤمنون . وإذا قرئ  
عليهم القرآن لا يسجدون «

ولا علينا أن يرتاد « جاجارين » غيابة الفضاء ، بعد أربعة عشر قرناً  
من نزول آيات الرحمن :

« يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار  
السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأي آلاء  
ربكمَا تكذبان . يُرسلُ عليكمَا شواظ من نارٍ ونحاسٍ فلا  
تنتصران . فبأي آلاء ربكمَا تكذبان . »

• • •

• الإسلام - كما بينت في مبحث : إنسان العصر بين الدين  
والعلم - يتجه إلى العقل في ترسيخ الإيمان ، وكتابه المحكم يفصل  
الآيات لقوم يعقلون ويعلمون ويؤمنون ، ويضرب الأمثال لعلنا نتفكر  
ونفقه ونؤمن . وقد حرر القرآن الإنسان من الأخلال التي تعوق تحقيقه

لآية إنسانيته المكرمة أو تقيد مسعاه الطامح إلى ما سخر له الله :  
كل ما في السموات وما في الأرض .

بغير العقل ، لا يتميز حق من باطل ، ولا هدى من ضلال .  
وبغير العلم ، لا سبيل إلى تسخير شيء مما في الأرض أو في السماء .

• ولا حرج من الدين ، في أن يقرأ أبناؤنا نظرية التطور وأصل  
الأنواع في بحوث « دارون » والنظرية المادية في إعلان « ماركس »  
ومؤلفاته وشروح تلاميذه العلماء وإضافاتهم ،

لكن المحذور أن يقرأوا النظرية مشوهة ممسوخة ، مدسوسة على  
القرآن باسم العلم والعصرية والإيمان .

وأبناؤنا المسلمون ، يدرسون علوم العصر وأسرار الرياضيات والتكنولوجيا  
في موسكو ولندن وباريس وادنبره وفيينا وبرلين وبراج ، ويطلبون العلم  
ولو كان في الصين !

ويحظر عليهم دينهم ، أن يطلبوا أي علم ممن يدعي أنه أحاط بكل  
شيء علماً ، ووسع علمه السموات والأرض ، والدنيا والآخرة ..

أذكر أن فقيهاً من علمائنا ، سأله سائل في آية « وما فرطنا في  
الكتاب من شيء » فهل يعلم من القرآن : كم رغيماً يجيز من إردب قمح ؟  
قال : نعم ، .

واتصل تلفونياً بمخابز « الرمالي » فأعطاه مديرها الجواب .

قال السائل : لكن هذا ليس من القرآن ؟

ورد شيخنا : بلى ، في القرآن : « وأسألوا أهل الذكر إن كنتم

لا تعلمون » وقد فعلت ..

ومن أهل الذكر نلتمس العلم ،  
ونطلب الدين فترجع فيه إلى الله وإلى الرسول ، في الكتاب والسنة ،  
وفقه الأئمة وبحوث العلماء ..

لا إلى من يجسر على أن يدعي في أمة متدينة :

( أن جبريل يمكن أن ينزل إلى الأرض في أية صورة ، ويحمل  
الوحي إلى أي نبي ، في أي عصر ، وبأية لغة )

• وليس هذا من الدين الذي أعلن ختام الوحي بما أنزل على خاتم  
النبين في عصر نزول القرآن ..

فهل هو من العلم ؟

صدقت كلمة ربي :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء »

من الإسلام ، إلى المنهج العلمي :

« لا أدري ، والله أعلم »

« وما لهم به من عِلْمٍ إن يتبعون إلا  
الظنَّ وإن الظنَّ لا يُغني عن الحقِّ شيئاً .  
فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم  
يُردْ إلا الحياة الدنيا . ذلك مبلَّغهم  
من العِلْمِ ، إن ربُّك هو أعلمُ بمن  
ضلَّ عن سبيله وهو أعلمُ بمن اهتدى »  
( سورة النجم )

obeikandi.com

من أعز ما يقدمه الإسلام إلى المنهج العلمي ، مبدأ « لا أدري »  
فرضاً على العالم ، أي عالم ، أن يقوها إذا سئل عما لا يدري ..  
ويقوم هذا المبدأ أساساً ، على أصل من صريح النص في الكتاب  
والسنة .

• في كتاب الإسلام ، يتقرر المبدأ أصلاً من أصول العقيدة ، في  
استحالة أن يحيط إنسان بكل شيء علماً .

ذلك لله وحده ، لا لأي مخلوق ولو كان ملكاً من الملائكة ،  
أو نبياً ممن اصطفاهم الله فبعثهم برسالاته .

سبحانه ، هو وحده الذي « أحاط بكل شيء علماً » « وما  
أوتيتم من العلم إلا قليلاً »

الملائكة الأبرار فيما حكى القرآن عنهم :

« قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا »

( البقرة : ٨٢ )

ونسى الله تعالى رسوله نوحاً ، أن يسأله ما لا يعلم ، ووعظه أن  
يكون من الجاهلين :

« فلا تسألن ما ليس لك به علمٌ إني أعظُّك أن تكون من الجاهلين »  
(هود : ٤٦)

• وكل الرسل عليهم السلام ، لم يكن لهم علم إلا ما تلقوه من وحي الله تعالى ، وأميروا أن يبلغوه في رسالاتهم . فما كان لأحد منهم أن يجيب بغير : لا أدري ، فيما لم ينزل فيه وحي .

والذي استأثر الله بعلمه ، لم يعلمه أحد من رسله الأنبياء ، فضلاً عن أن يعلمه غيرهم من سائر البشر .

خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ، سأله أحبار يهود عما لا يدري من أمر الروح ، فتلا من كلمات ربه :

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً »

وسأله عما لا يعلم من خبر أهل الكهف وذوي القرنين ، فتوقف لم يقل شيئاً حتى نزلت آيات الكهف فيما سألوا عنه ، واقتصر الرسول عليها ، رداً على أحبار يهود .

وسأله قومه عن الساعة ، ولا علم له بها ، فكان الرد من الوحي :  
« يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها . إنما أنت منذر من يخشاها »

(التازعات )

« يسألونك كأنك حَقِيبيُّ عنها قل إنما علمها عن الله »

( الأعراف : ١٨٧ )

وتساءل طواغيت المشركين ، كما تساءل الكفار من قبلهم ، متى

وعد الله الذي يُنذرهم به الرسل ؟ فرد المصطفى بما تلقى من كلمات ربه :

« قل ما كنت بيدعاً من الرسل وما أدري ما يُفعلُ بي ولا بكم ، إن أتبع إلا ما يوحى إليّ وما أنا إلا نذير مبين »

( الأحقاف : ٩ )

« قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخيرِ وما مسني السوءُ ، إن أنا إلا نذير وبشير- لقوم يؤمنون »

( الأعراف : ١٨٨ )

« قل لا أقول لكم عندي خزائنُ الله ولا أعلم الغيبَ ولا أقول لكم إني مَلَكٌ ، إن أتبع إلا ما يوحى إليّ ... »

( هود : ٣١ )

« فإن تولّوا فقلْ آذنتُكم على سواء ، وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون »

( الأنبياء : ١٠٩ )

والإنسان بشر ، عرضة لأن يسهو ويففل ، وينسى ما تعلمه . ولا عجب فهو ابن آدم الذي علّمه الله فنسيّ ما تعلم ، وحذّره من كيدِ إبليس فاعتر من حيث لا يدري ، وتورط في خطيئة المعصية .

وقد عوتب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، في ابن أم مكتوم « الأعمى » :

« وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فأنت عنه تلهي .  
وما يُدريك لعله يزكي ، أو يدكر فتنفعه الذكرى »  
( عيس )

• • •

والعلماء يتفاوتون ، لا باختلاف علومهم فحسب ، ولكن يتفاوتون كذلك في العلم الذي تخصصوا فيه ، بمقدار ما يتاح لكل منهم من رسوخ في العلم الذي تفرغوا له ، ونفاذ في دقيق مسأله ، وفقه لأسراره ، تصدق عليهم جميعاً آية يوسف :

« نرفعُ درجاتٍ مَنْ نشاءُ ، وفوق كل ذي علم عليم »  
من ثم أمير المؤمنين بأن يردوا الأمر في الدين إلى الله والرسول : الكتاب والسنة .

والمستول فيما لا يدري ، لا يخرج عن إحدى ثلاث :  
أن يكذب ، وذلك من أكبر الكبائر . وفي الحديث المتواتر :  
« مَنْ كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »  
أو يرجم بالظن ، وذلك محظور في الإسلام :  
« وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظنَّ وإن الظنَّ لا يُغني  
من الحق شيئاً »

( النجم )

فلم يبق إلا الثالثة : أن يقول : لا أدري .  
وقد قالها نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام لأصحابه . فيما لم يكن

يدري من أمور دنياهم .

وقالها في كل ما سئل عنه من أمور دينهم ، قبل أن ينزل بها قرآن .  
وأوصى بها العلماء من أمته ، حين يتصدون للتعليم ، قال عليه الصلاة  
والسلام :

« أيها الناس ، مَنْ علم منكم شيئاً فليقل لما لا يعلم : الله أعلم .  
فإن من عِلْمِ المرء أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم »  
وروى « عبدالله بن جعفر » حديثاً مرسلًا عن الرسول عليه الصلاة  
والسلام ، قال : « أجرؤكم على الفتيا ، أجرؤكم على النار »

•••

وتلقاها عنه تلاميذ مدرسة النبوة ، من الصحابة والتابعين . فقال ابن  
عباس :

« إذا أخطأ العالمُ « لا أدري » أصيبتْ مَقَاتِلُهُ »  
وسئل « أبو بكر الصديق » في كلمة من غريب القرآن ، ففكر رضي الله  
عنه ملياً ثم قال :  
« أيُّ سماءٍ تُظِلُّني وأي أرضٍ تُعَلِّني إذا قلت في كتابِ الله بغيرِ  
علم ؟ »

وسئل « سعيد بن جبير » عن مسألة في الدين ، فقال : لا أعلم .  
ثم عقب : « ويلٌ للذي يقول لما لا يعلم : إني أعلم » .

وأعضلتُ مسألة من الفقه على « الشعبي » فقال له أصحابه : إنا قد استحيينا لك لما رأينا منك .

وردَّ عليهم :

« إن الملائكة لم تستحي أن تقول : سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا »

...

ورسخ المبدأ من العصر الإسلامي الأول ، فكان العالم يُقاس بمقدار ما يقول : « لا أدري » فيما لا يدري . والجاهل من لا يقوفا . فيصِلُ ويُضِلُّ الناس . وأجرؤهم على الفتيا ، أقلهم عِلماً .

في الخبر عن « عبدالله بن عمر بن الخطاب » أن رجلاً سأله في أمرٍ من الدين فقال رضي الله عنه : لا أدري .

وانصرف السائل وهو يقول للناس من حوله : نعم ما قال عبدالله بن عمر . سئل عما لا يعلم . فقال : لا علم لي به .

ويروون عن « القاسم بن محمد » أن رجلاً حضر مجلسه العلمي فسأله عن شيء فقال رضي الله عنه : لا أحسنه .

فجعل الرجل يقول : إني رفعت إليك السؤال لا أعرف غيرك .  
وردَّ عليه القاسم :

« لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي . والله ما أحسنه »

قال شيخ من قریش وكان حاضراً بالمجلس : « يا ابن أخي ، الزمها فوالله ما رأيتك في مجلس أتبلّ منك اليوم »

فقال القاسم رضي الله عنه :

« والله لَأَنْ يَقْطَعَ لِسَانِي ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِمَا لَا أَعْلَمُ »  
ذكرها الإمام مالك وقال :

« لَأَنْ يَعِيشَ الرَّجُلُ جَاهِلًا ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَقُولَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ . هَذَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِمَا خَصَّهُ مِنَ الْفَضْلِ ، يَقُولُ : لَا أَدْرِي »

...

وتوارث الأئمة من فقهاءنا العلماء ، هذا المبدأ المنهجى الإسلامى ، فكان مما أوصى به الفقيه « ابنُ هرْمَزِ الْأَصْمِ » تلميذه مالك بن أنس :

« يَنْبَغِي أَنْ يورَثَ الْعَالِمُ جُلُوسَهُ قَوْلَ : لَا أَدْرِي . فَإِنْ الْعَالِمُ إِذَا أَخْطَأَ « لَا أَدْرِي » أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ »

وعاها الإمام مالك ، فقال :

« الْعِلْمُ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ ، أَوْ سُنَّةٌ مُبَيَّنَّةٌ ثَابِتَةٌ ، أَوْ : لَا أَدْرِي »

ونقرأ معه في تعريف الفقه ، أنه سُئِلَ يوماً في أربعين مسألة ، أجاب في سِتِّ وَثَلَاثِينَ مِنْهَا بـ : لَا أَدْرِي .

وجاءه رجل من المغاربة ، موفداً من بعض قومه ليستفتي إمام دار الهجرة في مسألة فقهية . وذكر للإمام أنه أُرْسِلَ فِيهَا مِنْ مَسِيرَةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، مِنَ الْمَغْرِبِ . فَقَالَ « مَالِكٌ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

— أَخْبِيرِ الَّذِي أَرْسَلَكَ أَنِّي لَا أَعْلَمُ لِي بِهَا .

سأله الرجل : ومن يعلمها ؟  
وأجاب الإمام : مَنْ علّمه الله .

•••

وليس الخطر في حرمة « لا أدري » أن العالم إذا أخطأها أصيبت مقاتله  
فحسب .

الخطر كل الخطر أن تُهدر حرمة العلم فينا ، فيتصدى له مَنْ  
يُضِلُّ الناس بغير علم .

وهو بذلك يحمل وزر إضلالهم ، مع وزر ضلاله ، بمقتضى تبعة  
القدوة التي يشد الإسلام في تقريرها ويوجب الالتزام بمسئوليتها :

« فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضِلُّ الناس بغير  
علم »

(الأنعام : ١٤٤)

« ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن  
سواء السبيل »

(المائدة : ٧٧)

« ليتحملوا أوزارهم كاملةً يوم القيامة ومن أوزار الذين يُضِلُّونهم  
بغير علم »

(النحل : ٢٥)

دون أن يُعفى من العقاب ، مَنْ غرر بهم الذين أضلوعم بغير

علم . لأن المضللين لن يلبثوا أن يُضِلُّوا غيرهم بغير علم ، وتنتقل اللعنة من سلف إلى خلف ، حتى يوم الحساب :

« هذا فوج مقتحم معكم لا مرجباً بهم لأنهم صالحو النار ، قالوا بل أنتم لا مرجباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار . قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعيفاً من النار »

« كلما دخلت أمة لعنتت أختها حتى إذا ادأركوا فيها جميعاً قالت أحرأهم لأولأهم ربنا هؤلاء أضلونا فأنتهم عذاباً ضعيفاً من النار قال ليكلُّ ضعيف ولكن لا تعلمون »

(الأعراف : ٣٨)

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما من داع يدعو إلى هدى إلا كان له مثل أجر من اتبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً . وما من داع يدعو إلى ضلالة إلا كان له مثل أوزارهم ، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً . »

وعن عقبه بن مسلم ، قال :

« صحبتُ ابنِ عمر أربعة وثلاثين شهراً ، فكان كثيراً ما يُسأل فيقول : لا أدري . ثم يلتفت إليّ فيقول : أتدري ما يريد هؤلاء ؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً إلى جهنم . »

منذ تلا الرسول عليه الصلاة والسلام في أمته - كلمة ربه :

« والله يعلم وأنتم لا تعلمون »

« وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً »

وقال عليه الصلاة والسلام :

« أجرؤكم على الفتيا ، أجرؤكم على النار »

دخل مبدأ التخرج من الفتيا وفي الفتيا ، في البيئة الإسلامية .

واشتهرت فينا كلمة الصحابي « ابن مسعود » :

« إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون »

واشتهر عن الصحابة والتابعين ، تلاميذ مدرسة النبوة ، التخرج من

الفتيا ، لا يقدمها أحدهم إلا مضطراً .

عن البراء التابعي ، قال :

« أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم . يُسأل أحدهم عن المسألة ، ما منهم من رجلٍ إلا ودَّ

أن أخاه كفاه »

وقال الفقيه « سفيان الثوري » شيخ مالك :

« أدركنا الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا ، حتى

لا يجدوا بدأً من أن يُفتوا . وإذا أعفوا منها كان أحبَّ إليهم » .

وكان « النخعي » فقيه الكوفة ، يُسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول

لسائله : أما وجدت من تسأله غيري ؟

وقال رضي الله عنه : « قد تكلمتُ ، ولو وجدتُ بدأً ما تكلمت .

وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمانٌ سوء »

ومن مآثور قول الإمام مالك :

« مَا كَانَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَيَّ ، مِنْ أَنْ أُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْقَطْعُ فِي حُكْمِ اللَّهِ . وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا أَهْمَ الْعِلْمِ بَيْلِدْنَا وَإِنْ أَحَدَهُمْ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ : أَحْلَالَ هِيَ أَمْ حَرَامٌ ؟ كَأَنَّمَا الْمَوْتُ أَشْرَفَ عَلَيْهِ »

وذكروا في مناقبه ، أنه « كان إذا سئل عن المسألة ، كأنه واقف بين الجنة والنار »

كما ذكروا مثل ذلك عن ابن سيرين : « إذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام ، تغير لونه وتبدل ، حتى كأنه ليس بالذي كان ! »  
وقال الإمام أحمد بن حنبل :  
« من عرض نفسه للفتيا فقد عرضها لأمرٍ عظيم ، إلا أنه قد تلجىء إليه ضرورة »

...

من هنا دخل الالتزام بكلمة « والله أعلم » يثبتها علماء الإسلام بعد الذي يقدمون أو يدونون من علم .  
وتلقانا « والله أعلم » في تراث السلف الصالح ، فيتندر بها من لا يدرون أنها من تخرج العلماء .

ولعلها التي تحمي الأمة ، من جرأة من يجسر على ادعاء العلم بكل شيء ، وما خشي نبينا عليه الصلاة والسلام على الدين إلا من آفته :  
« آفة الدين ثلاث : فقيه فاجر ، وإمام جائر ، ومجتهد جاهل »

...

ومضت عصور حققت الأمة وجودها الحضاري بقيادة من علمائها .  
لا يقول أحدهم بما لا يدري ، ولا يتكلم إلا في مجال تخصصه  
العلمي .

وفي غشية ليل التخلف . لم تفقد الأمة منارها الهادي في الظلام ،  
ولا عدمت في كل خطوة عن مسراها ، من يصون عقليتها وإيمانها ،  
بكلمة : لا أدري . والله أعلم .

كلمة لم تخطئها مناهج علمائها في أحلك عصور الظلام ، نوراً في  
ضمايرهم وأمانة يؤدونها إلى الأجيال من خلفهم .

في مدينة مراكش بالمغرب الأقصى . قرأت فيما قرأت من وثائق  
تاريخها العلمي في عصر الاستعمار ، إجازتين علميتين ، كتبهما اثنان من  
علماء الجيل الماضي الفقهاء ، لمحمد بن ابراهيم المراكشي :

الأولى : من الفقيه القاضي « السيد عباس التعارجي » مؤرخة في فاتح ربيع  
الأنور عام أربعة واربعين وثلاثمائة وألف . وفيها ما نصه :  
« قد أجزتلك أيها الأخ فيما تجوز لي روايته ....

بشرط التحري ، وأن تقول فيها لا تدري : لا أدري . فمن أخطأها  
أصببت مقاتلة ...

« وأوصيه وإياي بالتقوى فإنها العمل الأقوى . ونطلب من الله تعالى  
أن يسلك بالجميع مسالك النجاة »

والإجازة الأخرى - في صحيح البخاري ومختصر الشيخ خليل في الفقه -  
من الشيخ « أبي شعيب الدوكالي » ومن نصها :

« فأجزته فيما تجوز عني روايته من معقول ومنقول وفروع وأصول . بشرط  
أن يقول : لا أدري . فيها لا يدري . وأن يواظب على الاستفادة والإفادة »

وتاريخها الثالث عشر من شوال سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف .  
ومحمد بن ابراهيم المراكشي ، المجاز ، هو شاعر الحمراء الذي أخذ مكانه  
في التعبئة الوجدانية لقومه ، في إبان الاستعمار . وهو الذي أرق الاحتلال بقصيدته  
في رفض الأمة للظهير البربري الذي أراد الاستعزاز أن يفرضه على قومنا بالمغرب  
سنة ١٩٣١ ، بديلاً للشريعة الإسلامية .

\* \* \*

فأين نحن اليوم من : لا أدري ، والله أعلم .  
وفينا من يخوض في كل علوم الدين والدنيا وغيب الآخرة !  
كأن ليس في الأمة علماء راسخون فيما تخصصوا فيه .  
فألهم لا يصل بنا الحال إلى الدرك الذي حذرنا منه نبي الإسلام عليه الصلاة  
والسلام :

« إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس . ولكن يقبض العلماء ،  
حتى إذا لم يبق عالم ، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً أفتموا بغير علم فضلوا وأضلوا »  
\* \* \*

وأعود على بدء فأقول :  
إن إنسان العصر يمتحن بكل الذرائع التي تبررها وطأة الجبايرة وطاقوت  
المادة ، وبغي السيطرة والاحتكار .

وهو في أمته ، يمتحن من أجل ذلك كله بذرائع الغربة في وطنه ، وبعملية  
تشويه ماسخ لعقله وضميره ، لكي يُفتن عن عقيدته التي تثير بصيرته ، وتفرض  
عليه رفض العبودية لغير خالقه ، وتحمله تكاليف وجوده الكريم الحر .

في هذا التشويه الماسخ ، تتسلط عليه مخدرات من الكهنوت العصري ،  
تسقيط وعيه باسم الإيمان والعلم ، فتره الجن والملائكة في عصر ساليوت

ومارينر ، وتعطيه كلمة السر التي تفتح له خزائن علوم الدنيا والدين . وغيب  
الآخرة ....

وفي غيبوبة اللاوعي ، يُحجب عنه عطاء الدين ، ليلقى سمعه إلى ما يقال  
عن أفيون الشعوب ونقد الفكر الديني ، وتأخذه أصوات الساخرين برسالات  
الدين ، لا يرون فيها غير « صناديق دُمي » ، كانت تصلح لأن تلهو بها البشرية  
في سذاجتها البدائية « وقد آن لنا أن نصرف عن « قبور الأنبياء وأكفان الموتى »  
التي يفسد ريحها مناخ العصر !

والقرآن هو الهدف ...

وزجرة العدو في حمانا ، توقظ النيام

وتحديات العصر توزق الإنسان ..

فأي بديل عن هذا القرآن يقدمه مثقفونا العصريون إلى الأمة : لواءً جامعاً  
لشمليها ، ودليل مسراها في غواشي المحنة ، ونور بصيرتها وضميرها فيما تواجه  
من تكاليف الجهاد وتحديات العصر ؟

اسألوا التاريخ ، والسلام على من اتبع الهدى ....